الأهرام

المصدر : الوفد

التاريخ : ٤ يولية ٢٠٠٠

مستقبل الجنوب اللبنانى بعد الانسحاب

صبرى سعيد

نائب رئيس تحرير مجلة عالم الاقتصاد

قال رئيس وزراء اسرائيل، ايهود باراك بعد خروج آخر جندى اسرائيلى من قرية فاطمة واغلاقها منهيا ٢٢ عاما من الاحتلال الاسرائيلى للجنوب اللبنانى «انتهت المأساة الأسرائيلية فى لبنان».. بهذه الكلمات لخص باراك محنة الوعى الاسرائيلى تجاه ما كانت ترددد وسائل الاعلام العربية بان اسرائيل لن تتخلى عن مطامعها فى الاراضى العربية ولن تتوانى فى اى لحظة تاريخية من لحظات العمر العربى من تهيئة الظروف لصالحها لفرض سيطرتها على الارض والعقل العربيين الا انه واعمالا للعقل وعدم الوقوع فى فخ نشوة الفرح لابد من سؤال يفرض نفسه الآن خاصة على الصعيد اللبنانى وهو ماذا بعد الانسحاب؟ لقد تناولت كافة وسائل الاعلام العربية وحتى بعض الدولية انباء تشير الى انتصار المقاومة اللبنانية وانها اول حادثة من نوعها فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ان تضطر اسرائيل للانسحاب بقوة فرض الأمر الواقع.. نعم هذا صحيح الا ان هذا التحليل يشوبه بعض القصور وتجاوز بعض الحقائق.. فكان لدى حكومة اسرائيل اكثر من سبب للانسحاب من جنوب لبنان فى مقدمتها بالطبع ان تكلفة البقاء فيما اسمته اسرائيل بالحزام الامنى كانت اعلى من منافع يجلبها هذا الحزام لاسرائيل وان الاستنزاف اليومى الذى كان يواجه الجيش الاسرائيلى لم تكن ثمة وسيلة اخرى لايقافه سوى الانسحاب.. وثانى هذه الاسباب ان هناك تعهدا انتخابيا لباراك يقضى بان ينسحب من الجنوب اللبنانى بحلول شهر يوليو ٢٠٠٠، اضافة الى ذلك التخلص من عبء الجنوب اللبنانى على اسرائيل حيث تؤكد الاحداث ان هذا الشريط كلف اسرائيل تكاليف سياسية باهظة اكثر منها عسكرية وهو ما دعا باراك ان يتعهد فى الانتخابات الاخيرة من الانسحاب من جنوب لبنان وهو ما حدث بالفعل لانه استحقاق انتخابى لصالح المجتمع الاسرائيلى.

وتشير الى ذلك احدث الاحصائيات التى تقول ان ٧٢٪ اعتبروا ان الانسحاب كان الانسب لاسرائيل.. وافاد هذا الاستطلاع زيادة شعبية باراك حيث اشار ٥٨٪ ممن شملهم الاستطلاع الى ان رأيهم فى باراك لم يتغير وانه نفذ ما وعد به فى حملته الانتخابية الاخيرة ومع الاشارة الى ان هناك بعض الملاحظات حول هذه الاستطلاعات الا انها تحظى بعض الدلالات خاصة عند مناقشة موضوعات حيوية مثل هذه ولنقل مثلما تقول معظم التصريحات اندحر الاسرائيليون فى لبنان معترفين بهزيمتهم لاول مرة.. نعم يحق لكل اللبنانيين وكل العرب الاحتفال بالنصر المبين على اسرائيل فانسحابها لا يمثل الا شعورها بوجع دائم.. الا ان حماية الانتصار اللبنانى يستدعى وجود استراتيجية واضحة تؤكد الوحدة الوطنية اللبنانية وبتكريس حقائق الانتصار على الارض.. والمهمة ليست فى اعتقادى مهمة فى ضوء حقيقة الوجود السورى على الارض اللبنانية والدور الفاعل للمؤسسة العسكرية الرسمية اللبنانية.. نعم كان هناك احتشاد لبنانى خلف المقاومة اللبنانية وكان هناك حشد عربى خلف لبنان وخلف المقاومة الا ان هذا الاحتشاد كان على ارض واقع مختلف بمعنى انه كان مرتبطا مع وجود القوات الاسرائيلية فى الاراضى اللبنانية اما الان وقد انسحبت اسرائيل فالوضع جد مختلف.

فهذا الاحتشاد سيفرغ من محتواه اذا لم تكن هناك خطة لبنانية فى المقام الاول لتصحيح الوضع الداخلى وخلق اطر سياسية جديدة تتفاعل مع الوضع الجديد..

واهم هذه الاطر ربط المركز البيروتى باطراف الجنوب وقناعة الدولة اللبنانية بان السلام هو الخيار الاستراتيجى الذى لا يمكن التخلى عنه وان تحقيق هذا الخيار لن يتم بغير تصحيح الوضع السورى داخل لبنان وتكريس كل ادوات السياسة لخدمة المصلحة اللبنانية العليا فى الامن والاستقرار والسلام الاقليمى.

ومن هنا وبعد ٢٢ عاما من الاحتلال الاسرائيلى للجنوب اللبنانى نقول ماذا بعد؟ خاصة اذا علمنا ان اسرائيل وبعد الانسحاب مباشرة قبلتها المجموعة الاوروبية فى الامم المتحدة عضوا بالمجموعة والتى تضم دول الاتحاد الاوروبى الخمس عشرة وكلا من استراليا ونيوزيلندا وكندا والولايات المتحدة.. وهذه هى المرة الاولى التى تحظى فيها اسرائيل بعضوية احدى المجموعات الاقليمية الخمس فى الامم المتحدة والتى تقوم بترشيح من تراهم لشغل مناصب فى وكالات المنظمة الدولية المتخصصة مثل مجلس الامن والمجلس الاقتصادى والاجتماعى ومنذ ٥١ سنة مضت اى منذ قبول عضوية اسرائيل فى الامم المتحدة حرمت اسرائيل من ان ترشح او تفوز بعضوية اى وكالة او لجنة تابعة للامم المتحدة بسبب سياساتها العدوانية القائمة على استخدام القوة او التهديد.. هذا القرار يؤكد ان هناك تغيرا كيفيا ونوعيا فى العلاقات الدولية بان اسرائيل تجيد عبر سياسات واقعية الاستفادة من هذه التغيرات ومن ثم فعلى الصعيد اللبنانى يجب ايضا الاستفادة من هذه التغيرات وان يكون لدى لبنان مشروعه السياسى الوطنى لدرء الاخطار المحدقة به على كافة الاصعدة وليثبت لاسرائيل انه دولة مؤسسات حقيقية وقادر على اتخاذ قراره بنفسه بلا وصاية ولا تخاذل.. ولعل انتشار الجيش اللبنانى ضرورى لكى تتمكن قوات الطوارئ من الانتشار الى جانبه ولكى تبدأ فى لبنان ديناميكية نحو التحرر. ايضا امكان اطلاق ديناميكية تحرر لبنان من الهيمنة السورية اصبحت طلبا ملحا اكثر من ذى قبل خاصة وان سوريا منهمكة الآن بامورها الداخلية. كما انه من الضرورى ايضا ان يتعاون لبنان مع القوى الدولية لتحقيق ثلاثة اهداف هى: تنفيذ لبنان مسئولياته فى اطار القرار ٤٢٥ ونشر القوات الدولية لمساندته واطلاق ديناميكية لتحريره من الوجود السورى. وهذا بالفعل هو اساس التفكير العملى ففى حالة نفذت الدولة اللبنانية مسئولياتها فى الجنوب فذلك سينشىء فى المجتمع اللبنانى حيزا للتعبير عن المشاعر الوطنية والاستقلال ليس على صعيد النخب السياسية فحسب بل على صعيد المجتمع المدنى والاوساط السياسية ايضا.

ومن هنا فلابد من اهتمام الدولة اللبنانية بدورها وتفعيل مسئولياتها الاجتماعية فى كل مناطق الجنوب ومشاركته بجهود الحكومة والمجتمع المدنى للنهوض بالجنوب فهناك العديد من الملفات التى يجب التعامل معها بجدية بعد هذا الانسحاب اول هذه الملفات التى تحتاج لمعالجة فورية تمشيط الجنوب المحرر من الاسلحة الخفيفة ومواد التفجير وتكون تحت سلطة الجيش اللبنانى الرسمى لقطع الطريق على تجار السلاح ويكون ذلك ضمن اتفاق مع القوى السياسية وثانى هذه الملفات هو توفير فرص العمل فى الجنوب لتلافى ما قد يؤدى اليه الاهمال من خيبة امل خاصة ان اسرائيل كانت طوال هذه السنوات الاثنتين والعشرين مستعدة للانسحاب من لبنان ولكن لم تكن هناك حكومة شرعية وقوية للدولة اللبنانية، اضافة وهذا هو الاهم ما هى وضعية حزب الله القانونية والسياسية فى اطار آليات الدولة اللبنانية القانونية والسياسية، وما هى صيغ تفكيك الجناح العسكرى لحزب الله وماهى اطر العمل السياسى له فى اطار شرعية الدولة اللبنانية هذا كله بالطبع لا يؤثر على فرحتنا بعرس الجنوب فى زمن الاحزان العربية المتتالية، ولكن نأمل الا تنسينا نشوتنا بفرحة النصر العمل على تلافى عودة الاحزان.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية